

## أضواء البيان

@ 323 @ .

فحديث مسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلك النصوص في مسجد قباء . .  
وقد قال ابن حجر رحمه الله : والحق أن كلاهما أسس على التقوى ، وقوله تعالى : {  
فِيهِ رَجَالٌ يُحْيِيُونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا } ظاهر في أهل قباء . .  
وقيل : إن حديث مسلم في خصوص مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، جاء رداً على اختلاف  
رجلين في المسجد المعنى بها ، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم أن الآية ليست خاصة  
بمسجد قباء ، وإنما هي عامة في كل مسجد أسس على التقوى ، وأن العبرة بعموم اللفظ لا  
بخصوص السبب ، كما هو معلوم في الأصول . .

وعليه ، فالآية إذاً اشتملت وتشتمل على كل مسجد أينما كان ، إذا كان أساسه من أول يوم  
بناؤه على التقوى ، ويشهد لذلك سياق الآية بالنسبة إلى ما قبلها وما بعدها ، فقد جاءت  
قبلها قصة مسجد الضرار بقوله : { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَّارًا  
وَكُفْرًا وَتَفَرُّيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِلْمَنِّ حَارِبَ اللَّاهِ  
وَرَسُولَهُ مِنْ قَيْلٍ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَادُوا إِلَّا اللّٰهُنَّ وَاللّٰهُ  
يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُومُ فِيهِ أَلْبَدًا لِلْمَسْجِدِ أُسُسٌ عَلَى  
التَّقْوَى مِنْ أَوْسَلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ } . .  
ومعلوم أن مسجد الضرار كان بمنطقة قباء ، وطلبوا من الرسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
يصلي لهم فيه تبركاً في ظاهر الأمر ، وتقريراً لوجوده يتذرعون بذلك ، ولكن الله كشف عن  
حقيقتهم . .

وجاءت الآية بمقارنة بين المسجدين فقال تعالى له : { لَا تَقُومُ فِيهِ أَلْبَدًا  
لِلْمَسْجِدِ أُسُسٌ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوْسَلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ  
فِيهِ رَجَالٌ يُحْيِيُونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا } . .

وجاء بعد ذلك مباشرة للمقارنة مرة أخرى أعم من الأولى في قوله تعالى : { أَلَمْ نَكُنْ  
أَسْسًا بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مِّنْ أَسْسٍ  
بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانزهاراً به في نار جهنم واللّٰهُ  
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ الّٰذِي بَنَوْا  
رَيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ } . .

وبهذا يكون السبب في نزول الآية هو المقارنة بين مبدأين متغايرين ، وأن الأولية في

الآية في قوله : { مِنْ أَوْلِيَّاءِ يَوْمِ } أولية نسبة أي بالنسبة لكل مسجد في أول